فشيئا الى الوراء مرورا بايام الطفولة ، وحرب السويس ، وثورة الضباط الاحـــرار والنضال الوطني ايام الملك ، وقبله ايام الانكليز ، ونمر بسرعة على احتلال الانكليز لمصر وثورة عرابي وحكم محمد علي وحملاته على بلاد النوبه · ونستقر فترة طويلة في ظـل رعمسيس الثاني ، فكأننا ننطلق من ظل « خروتشوف وعبد الناصر » الى ظل رعمسيس حتى نعود من جديد الى ظل الدولة الجديدة في القاهرة · وعبثا يحاول الراوي ان يطيـل المكوث عند بعض اللحظات المشرقة : ثورة السودان افتداء لعرابي ، النضال الوطني ايام الانتداب ، وذلك الوجه المشرق باثار الجدري اذ يعود بنا الزمن دون رحمـة ، بحركـة دائرية مصيرية الى الاجل المحتوم ·

وتغتني هذه الرحلة الجغرافية ـ التاريخية بابعاد اخرى توحي بهـا الرواية دون ان تتوقف عندها كثيرا · منها التجربة الانسانية الفردية ، اذ ننطلق من العامل الضحية فـي السد ونعود الى الوراء الى شهدي عطية ، فالى الثورة العمالية الاولى ، وقد آلت الـى ما آلت اليه ، الى ميكيل انجلو ، المعذب لانه رأى ، الى المسيح ، الراقد في حضن أمـه لانه اراد ان يفعل ، الى الفنان الذي نحت تماثيل رعمسيس ، المجهول لانه حقق شيئـا ، وعودة الى شهدي عطية المغتال خلسة في السجن لانه آمن وأمل ·

ومنها البعد الجيولوجي ، اذ ننطلق من حصاة السد ونعود الى تمثال نهضة مصر الذي اخذ منها ، والى الانصاب التي بنيت منها قديما ، والى اختمارها الوف السنين في جوف الارض حتى تعود اليوم تطفو على السطح ، ليبنى منها السد ·

وتتمثل هذه الحركة الدائرية المحتومة وكأنها قدر صارم رهيب ، تتمثل باجلى معانيهـا في معمارية النص · ننطلق في القسم الاول من الرقم ١ حتى الرقم ٤ ، ونتوقف قليلا على قمة هذا الرقم ونعود ننحدر في القسم الثالث من الرقم ٤ الى الرقم ١ اي من حيـث انطلقنا · هنا تتكلم السلطة المطلقة في العصر الحديث (والسلطة محور اساسي فـي الرواية) ، اي الرياضيات ، بسلطان اين منه سلطان الوحي والنبوة ، ليجلو الحقيقـة جلاء لا يحجبه عن اي عين اية غشاوة · انها صرامة الالة (وهي المسيطرة الاولى فـي الرواية) . اين منها صرامة المنطق · هي تتكلم والباقي ابكم (لا كلمات في العناوين)· ها اذا رحلة الشكل الرواثي (معمارية النص) تصاقب الرحلة الجغرافية والتاريخيـة والانسانية والجيولوجية ·

الا يوحي هذا الشكل بشكل هندسي طالما عرفته ارض مصر وتاريخ مصر ، الشكـل الهرمي ؟ وهل الشكل الهرمي غير الشكل الهندسي المبسط للشكل الاهليجي ، شكـل البيضة ·

وهل البيضة سوى محل الحياة ، حياة الجنين خاصة ؟ وفي افضل الحالات ، هـل يوحي هذا الشكل الا بالدائرة ، دائرة التاريخ الاغريقي المتكرر ، تكرر فعل الجنين ؟ افلا يزال اذا تاريخ مصر ، بل تاريخ الانسانية في « بيضة الحياة » في مرحلة الجنين ؟ ربما · المهم اننا في هذه الرواية ، تكاد لا تتجاوز رحلتنا شكل الدائرة ·